

تلقي الأخبار الزائفة في العالم الافتراضي - الاستعداد المعرفي وقابلية العقل البشري للخطأ والتلاعب -

Fake news reception in the virtual world
-Cognitive predispositions and the human mind's susceptibility to error
and manipulation-

لعليجي محمد أمين

جامعة البليدة 2 لونيبي علي (الجزائر)، m.lalidji@univ-blida2.dz

تاريخ النشر: 2024/11/10

تاريخ القبول: 2024/02/14

تاريخ الاستلام: 2023/01/25

ملخص:

الهدف من هذا المقال هو الكشف عن العلاقة بين الأخبار الزائفة والعقل البشري الذي يظهر استعدادا معرفيا لتشرب الأخبار الزائفة وقابليته للخطأ والإلهاء. كما نستحضر دور مراحل الذاكرة البشرية وتأثير الحقيقة الوهمية على معالجة المعلومات، خاصة في سياق العالم الافتراضي الذي يضعف المعالجة العميقة للمعلومات، ويعطل العقل عن اكتساب المعرفة على أساس التفكير النقدي. أخيرًا، على الرغم من أهمية الحلول التقنية، فقد أصررنا على حاجة المستخدمين لاكتساب المعرفة الرقمية والشك لمواجهة الأخبار الزائفة.

كلمات مفتاحية: الأخبار الزائفة؛ تأثير الحقيقة الوهمية؛ المعالجة العميقة؛ المعرفة الرقمية.

Abstract:

The aim of this article is to uncover the relationship between the fake news and human mind which show a cognitive predisposition to absorb fake news and susceptibility to error and distraction. We evoke the role of human memory stages and the illusory truth effect on information processing, especially in the context of the virtual world which is weakening the deep processing of information and disrupt the mind from acquiring knowledge on the base of critical thinking. Finally, despite the importance of the technical solutions, we have insisted on the users need for acquiring digital literacy and doubt to counter fake news.

Keywords: Fake News; illusory truth effect; deep processing; digital literacy.

مقدمة:

تعد القدرة على تكوين معتقدات دقيقة، خاصة فيما يتعلق بالقضايا ذات الأهمية الكبرى عاملاً أساسياً في نجاحنا كأفراد بالإضافة إلى أداء مؤسساتنا المجتمعية، فمن الأهمية بمكان أن يتم بشكل صحيح تقييم ما هو حقيقي وما هو غير صحيح، وبناء عليه، فإن التمييز بين الواقعي وغير الواقعي يقع في صميم بنياتنا المجتمعية التي تطمح للعقلانية، ومع ذلك يبدو أننا نخفق في كثير من الأحيان في تحقيق ذلك في كل جوانب حياتنا الشخصية والمجتمعية، ونساهم بطريقة أو بأخرى في تثبيت الأوهام الجماعية.

يواجه البشر عدم اليقين في كل وقت، ويشكل الشك والجهل جوانب لا مفر منها في الحياة، لكنها مع ذلك وضعيات غير دائمة، إذ تضطلع المعرفة على التقليل من جهلنا بالأشياء، أي نمر شيئاً فشيئاً من الجهل إلى المعرفة، غير أن سيرورة اكتسابنا للمعارف تطرح إشكالات عديدة حالياً خاصة مع تأكيد الباحثين على قابلية الخطأ للعقل البشري ومحدوديته، بالإضافة لتعقد الحياة الاجتماعية وتعدد مصادر المعلومات وتفاقم فرص التلاعب بالعقول والتضليل وانتشار الأخبار الكاذبة في العالمين الواقعي والافتراضي، فكثيراً ما نواجه في حياتنا اليومية ادعاءات كاذبة في شكل إعلانات ودعاية سياسية وشائعات... الخ، وقد يكون التكرار أحد الطرق التي تتسرب بها المفاهيم المغلوطة، والأفكار الخبيثة إلى بنياتنا المعرفية ما يؤثر على قراراتنا، وتظهر الأبحاث حول تأثير الحقيقة الوهمية effect the illusory truth أن البيانات المتكررة أسهل في المعالجة، ويُنظر إليها لاحقاً على أنها أكثر صدقاً من البيانات الجديدة.

تشكل تسمية "الأخبار الزائفة" fake news أو المزيفة إضافة حديثة لمفردات وسائل الإعلام. فوفقاً لـ Google Trends، فقد عرفت التسمية لسنوات طويلة مساراً غامضاً نسبياً، وازدادا تواتر ترددها كمصطلح بحث بشكل مفاجئ للغاية مع الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر 2016. كما بلغت المصطلحات ذات الصلة مثل "ما بعد الواقع" و"الحقائق البديلة" ذروتها أيضاً في Google Trends في ذلك الوقت تقريباً، إذ تشير جميعها إلى تشوهات متصورة ومتعمدة للأخبار بهدف التأثير على المشهد السياسي، وتفاقم الانقسامات في المجتمع وجعل الناس قلقون بشأن الأخبار الزائفة، لأنها تخلق البلبلة وتثير الشكوك، وقد تقوض التماسك الاجتماعي والسياسي في العديد من بلدان العالم. انطلاقاً مما سبق، وبعبداً عن الانبهار بالأخبار الزائفة، نتساءل من خلال هذا المقال عن العلاقة بين

الاستعداد المعرفي الذي يبيده البشر وقابلية عقولهم للخطأ والتلاعب، وتشريحهم للأخبار الزائفة في العالم الافتراضي؟

1. النظام العقلي البشري وسيروية التصديق والقبول:

إنّ البشر مخلوقات ساذجة يجدون التصديق سهلاً جداً لدرجة تقترب من الفهم اللا ارادي وتجنب كل تقييم عقلائي، ويبدون بذلك استعداداً معرفياً لتشرُّب الأخبار الزائفة fake news بشكل عام، ما يدعونا لمحاولة فهم مسائل القابلية للتأثر التي يبيدها البشر، واستعداداتهم المعرفية للتمكن من تطوير مناهج لمواجهة الأخبار المزيفة.

ينبغي الإشارة أولاً إلى الفرق بين فهم البشر للأشياء وإيمانهم وتصديقهم بها understanding things and believing it وكذلك إمكانية تعرضهم لفكرة معينة قبل أن يقرّروا بعد ذلك و يقيموا مدى جدارتها وأهميتها، فافتراض طرحا معينا لا يعني بالضرورة الإذعان والقطع بحقيقته، لأن السيرورتين قد لا تكتملان أو لا تلتقيان تماماً. وقد اهتم الباحثون بإشكالية الإيمان والتصديق believing لدى البشر وطرحوا تساؤلات بخصوص ماهيته؟ وكيف يحدث؟ وكيف يعمل؟ وشكّلت جميع هذه التساؤلات الانشغال المركزي في تحليل العقل، وتتفق معظم النقاشات الاستيمولوجية بين الفلاسفة والنفسانيين على ضرورة أن تتضمن المعتقدات beliefs مكونين: تمثّلات ذهنية وتقييم إيجابي لمعلومات حاملة للمعنى (Bogdan, 1986) وعلى ذلك، يمكن الإيمان بالفكرة أو الطرح في حالة تم تمثله وترميز معناه ضمن النظام العقلي، ولما يتم التعامل مع هذا التمثيل الرمزي على أنه صحيح، إذ لا يمكن التصديق والإيمان بشيء لا نملك عنه أي معلومات تماماً أو الذي نعرف من خلال أقوالنا وأفعالنا بأنه خطأ. وبناء على هذا، فبينما يشير عنصر التمثيل إلى وجود معلومة حاملة للمعنى ضمن النظام العقلي، يشير التقييم إلى العلاقة بين تلك المعلومة ومعلومات أخرى موجودة في النظام العقلي.

1.1. التصديق عند البشروفي طرحي ديكارت Descartes وسبينوزا Spinoza:

أصرّ ريني ديكارت (René Descartes) على أنّ البشر يتمثلون الأفكار في عقولهم دون الرجوع إلى صدقها، وأنهم يحملونها بداية في وضعية توازن -من حيث الصحة والخطأ- ثم يلجؤون لتحليلها عقلياً لتحديد مدى صحتها أو كذبها (Gilbert, 1990, p. 602):

أولا/ يمكن تمثيل العقل للأفكار دون الإشارة إلى صدقها.
ثانيا/ قبول الأفكار ورفضها هي النتيجة المزدوجة لعملية تقييم واحدة يمكن التحكم فيها.

يقسم ديكارت (Descartes) العقل البشري إلى مجالين: الأول سلبي automatic والثاني نشط controlled وقد ربط الفهم بالجانب السلبي، إذ تعترض الأفكار للعقل دون بحثه عنها ودون أن يحاول إدراكها والتبصر فيها، فإن كان الحصول على الأفكار يحدث دون جهد، فإن قبولها أو رفضها يتطلب ذلك. ويعتبر ديكارت (Descartes) تقييم موثوقية (صحة) فكرة معينة بأنها عملية نشطة، واعية، وقوة متعمدة للذات.

على مستوى آخر، يرى باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza) أن التمثيل العقلي لفكرة أو اقتراح معين يحمل دائما قيمة صحة truth value مرتبطة به، وتكون هذه القيمة صحيحة افتراضيا، وتظل دون تغيير في حالة تقييم الفكرة لاحقا على أنها صحيحة، ولا يتم تغييرها إلا في حالة تقييمها على أنها خاطئة (Gilbert, 1990, p.603). انطلاقا من ذلك، يرى سبينوزا (Spinoza) أن فهم الفكرة وقبولها عملية واحدة، وأن فهم طرح معين يشترط أولا قبوله ضمنا، ويمكن لاحقا للفرد أن يُغيّر رأيه إذا أدرك أن الطرح الذي قبله يتعارض مع طروحات أخرى لديه، وعلى ذلك فإنه لا يفرّق بين الأفكار والمعتقدات لأنه يعتبر كل فكرة معتقد all ideas are beliefs.

ومع ذلك، لا يعني طرح سبينوزا (Spinoza) عدم قدرة الأفراد على كشف الأكاذيب وأنهم ملزمون بتقبل ما فهموه للأبد، على العكس من ذلك، فإنه يقر بحرية الفرد في تقبل أو رفض طرح معين بعد فهمه وقبوله، لكنّه يبيّن فقط بأن الرفض يشكل فعلا سيكولوجيا ثانويا، أي مجرد مراجعة للإيمان والتصديق.

2.1. فشل الشك والتنظيم الذاتي باعتبارها ميكانيزمات معرفية ضد الأخبار الزائفة:

يشير التشكيك أو الشكوكية Skepticism إلى موقف شك أو ميل إلى عدم اليقين سواء بشكل عام أو تجاه شيء معين، وله دور مهم في سلوك المعلومات الإنسانية Human information Behaviour، أي في احتياجات المعلومات، البحث، التقييم، والاستخدام. اشتق التعريف من عدد واسع من الأبحاث في العلوم الاجتماعية خاصة مجال الاتصالات وعلم النفس والتسويق والدراسات

الإعلامية والتعليم، ويحمل التعريف بعدا معرفيا. وعلى اختلاف التعريفات، يمكن الإشارة لبعض أبعاد الشكوكية على اعتبار أنها:

- الشعور الذاتي بالغربة والريبة (Tsfati, 2003)
- استجابة تختلف تبعا لسياق ومحتوى الاتصال (Tan, 2002)
- مجرد التشكيك في الادعاءات (Koslow, 2002)
- سمة تؤدي إلى الشك (Forehand & Grier, 2003)
- الميل نحو عدم تصديق الادعاءات (Obermiller & Spangenburg, 2000)

فمن خلال الأبعاد السابقة، تظهر عدد من الموضوعات المشتركة، ويتجه الإجماع للقول بأن يكون الشك شعور ذاتي، يثيره عدم التصديق أو عدم الثقة مما يؤدي إلى الارتياب أو التساؤل أو رفض الادعاءات، والتي قد يطلق عليها مجتمعة مقاومة الإقناع. ويستدعي الباحثون مفهوم الشك تجاه وسائل الإعلام media skepticism على اعتبار أنه شعور ذاتي يميّزه النفور، وعدم الثقة في تغطياتها ومعالجتها للوقائع الاجتماعية، وتختلف درجة شك الأفراد تجاه وسائل الاعلام بين الذين يشككون بشكل معتدل وأولئك الذين يستبعدون تمامًا ما تروج له، ولا يصدقون الحقائق والقيم وتصوير وسائل الإعلام للواقع (cozzens, 1987, p.438).

يشير كازلو (Koslow 2000) لدور شك المستهلك تجاه الإعلانات التجارية، حيث تحميه شكوكه العقلانية من المعلومات المضللة، ويؤكد بأن الشك هو الحماية الأساسية التي يتمتع بها المستهلكون في اكتشاف الاحتيال، كما بيّنت نتائج بعض الدراسات تأثير الشك المعتدل في جعل المتلقي أكثر استقلالية ووعيا، إذ يتخذ مسافة فاصلة بينه وبين محتويات وسائل الإعلام، وقد لخص tsfati أسباب اسقاط الأفراد للواقع التي تبثه وسائل الإعلام في ثلاث نقاط (cozzens, 1987, pp.438-439):

أولا/ سيرورة النضج التي تتضمن شك الكبار أو المسنين، بمعنى تعلم الشك عبر الزمن وعن طريق تعود الاحتكاك بوسائل الإعلام.
ثانيا/ يتعلم الأفراد التشكيك في وسائل الإعلام بناء على معرفتهم بالدوافع السياسية والاقتصادية و... الخ التي توجه عمل وسائل الإعلام.

ثالثاً/ يشكك الأفراد في وسائل الإعلام، لأن لديهم القدرة على مقارنة تجاربهم الشخصية في عالمهم الاجتماعي والمادي مع العالمين الاجتماعي والمادي الذي يتم تصويره في وسائل الإعلام. وعلى الرغم مما سبق، يمكن أن ننظر للأسباب التي طرحها تسفاتي (tsfati) من منظور آخر، وهو اعتبارها شروطاً أساسية لتحصيل الاتجاه الشكوكي نحو وسائل الإعلام، وإذا كان الأمر كذلك فسيكون التشكيك بأن الجميع قادر على ذلك مشروع، ويمكن أن نضيف لتعدد المسألة أبعاداً عديدة منها ظاهرة البيانات الضخمة big data وتنوع المصادر بين الوسائل الجماهيرية والجديدة والفروق المعرفية والذهنية بين الأفراد داخل نفس المجتمع.

في السياق ذاته، يؤكد الباحثون بأن سيرورة الشك أبطأ وأصعب في تحصيلها من الاعتقاد والإيمان (J. Flavell, 1985)، وبين وليام ماكدوجال (William McDougall) كيف أننا نتعلم في مرحلة متقدمة من العمر والتجربة تعليق/توقيف وضع الأحكام، أو أن نشك، فالقدرة على "رفض" الطروحات والاقتراحات تشكل مرحلة متأخرة من القدرات اللغوية لمرحلة الطفولة، فحتى لما يستخدم الطفل كلمة "لا" للرفض فإنه لا يتحكم فعلاً في وظيفة الرفض إلا بعد سنوات، ذلك، لأن مسألة عدم التصديق تتطلب قدرات معرفية أكبر، هذا بالإضافة لكونه سهل الإقناع وميله نحو قبول الاقتراحات دون مساءلة خاصة مع ضعف خبراته الحياتية.

استناداً على أعمال ميلغرام (S. Milgram, 1970) ودراسته حول الامتثال obedience لدى البشر، تبين لنا دور استراتيجيات التأثير الاجتماعية التي تستخدم للإقناع، حيث يجد الأفراد أنفسهم في مواجهة قوى اجتماعية يعجون عن مقاومتها لتصبح استجاباتهم أوتوماتيكية (Langer, 1978) Blank, & Chanowitz, 1978) ويقترح نموذج احتمالية التفصيل The Elaboration Likelihood Model بأننا لا نعالج المعلومات وفق مسارين (مركزي-محيطي) مختلفين، يشير المسار المركزي إلى تفكير الأفراد بشكل نقدي في محتويات الرسالة ويدققون في المزايا المركزية المتصورة للحجج في ضوء المعرفة الموجودة لديهم مسبقاً (Petty, 2017, p.720). ونظراً لاستحالة أن يكرس الأفراد اهتمامهم الكامل لكل رسالة، فإنهم غالباً ما يعتمدون على المسار المحيطي الذي يقوم على الاستدلال البسيط أو القواعد العامة كتمتع المتحدث (المصدر) بسمعة حسنة أو أنه يتحدث بطلاقة أو يبدو جيداً، هنا يفترض الملتقي أن الرسالة يجب أن تكون صحيحة وقابلة للتصديق خاصة إذا تدعمت بقائمة من الخبراء الداعمين أو أنها مألوفة.

تعمل بعض الحكومات والجماعات على محاولة تغيير أفكار مواطنيها من خلال تطوير عدد من التقنيات مستندة على فرضية "سهولة زرع التصديق والإيمان في حالة استنفاد واستنزاف القدرات /المعرفية للفرد المستهدف"، فالتعب الذهني والإرهاق الجسدي يفقد الفرد سيطرته على نفسه، كما أن الجهد العالي في موقف واحد يتبعه فترة من انخفاض القدرات (Baumeister, Heatherton, 1996; Tice, 1994; Baumeister & Heatherton, 1996) ويصبح واضحاً عدم امتلاك الوقت والطاقة والدافعية والقدرة على التفكير في كل رسالة بعناية (Dana, 2008, p.9) وتراجع بذلك عمليات التنظيم الذاتي.

في طرح مشابه، اقترح كلارك وشايس (Clark & Chase) نموذج يتعلق بتحقيق الأفراد للطروحات التي تقابلهم، فعندما يعالجونها فإنهم أولاً: يتمثلونها عقلياً. ثانياً: يقارنون بينها ويضعون "مقياس صدق" truth index وبهذا يبرز الزمن الضروري الذي يحتاجه الفرد لمعالجة والتحقق من مجموعة جمل متطابقة منطقياً لكنها مختلفة بنائياً (نحوياً)، وخلاصة الأمر أنه تم أولاً ترميز كلا الجملتين على أنهما صحيحتين، ثم تؤدي مرحلة المقارنة لجهد عقلي مضاعف فقط في حالة ما كانت الجملة خاطئة (Clark & Chase, 1972, pp.505-514).

يحتاج البعض بأن الفهم سيروية يتم من خلالها تمثل طرح معين ذهنياً، ويجدون صعوبة في تعريف هذه السيروية دون الإشارة إلى صحة الطرح، ويبين كل من داوتي، وال وبيتس (Dowty, Wall & Peters) بأن إعطاء معنى لجملة معينة يعني تحديد ظروف صحتها، وعليه فإن فهم جملة معينة يتطلب إنشاء سياق مؤقت تكون فيه الجملة صحيحة، وسيجد البشر صعوبة في تجاهل، نسيان، أو رفض طروحات استوعبوها، ويستمررون في حالات عديدة في تصديق واستخدام معلومات تبين لهم سابقاً بأنها خاطئة.

على مستوى آخر، أشار ويلسون (Wilson 1983) لمفهوم السلطة المعرفية Cognitive Authority وافترض أن الناس يدركون العالم بطريقتين رئيسيتين: إما على أساس تجاربهم المباشرة للعالم اليومي، أو على أساس ما تعلموه مباشرة من الآخرين (Savolainen, 2007, p.3). وركز ويلسون (Wilson) على الأبعاد الاجتماعية للمعرفة والمعلومات، وبين كيف أن توسع المسافة بين الفرد والأحداث الاجتماعية الواقعة تطرح إشكالات حقيقية بالنسبة له، خاصة وأنّها تميل للاختفاء

والانفصال عنه ما يجعله يفكر في كيفية فهمها ويلجؤه إلى خيارات أخرى، وتساءل ويلسون (Wilson): كيف يدير الفرد المعرفة التي يتلقاها من مصادر خارجية؟ كيف وإلى أي مدى يسمح للآخرين بتعديل بنياته المعرفية؟ في من يضع ثقته ليزوده بتيارات المعلومات الخارجية؟ وتتعلق كل هذه الأسئلة بالسلطة المعرفية، التي تعرف بأنها شخص- على الرغم من أنه يمكن أن يمتد إلى أنواع أخرى من المصادر مثل الوسائط (Tsfati, 2003)- يمكن الوثوق به إلى حد ما في مجال المعلومات، ويستند على عدة أبعاد كالمصداقية والسمعة، فإذا اعتبرنا شخصا معيناً "سلطة" فإننا نميل للوثوق فيه وتقليل شكنا به، ونعرض أنفسنا دونه لسليل من المعلومات السيئة والمضللة. كما يلجأ الأفراد إلى ما يطلق عليه Second-hand Knowledge وهي معرفة تكتسب أيضاً عن طريق الثقة، كما يتلقى المستمع الوثائق المعرفة من قائلها وراويها، وتعتبر بذلك مثل ذاكرة الإنسان، قناة للمعرفة ولتوزيعها وليست مصدراً أصلياً لها (Fricker, 2006, p.640).

2. ذاكرة البشر ومستويات معالجة المعلومات:

يقر ويليام جيمس (William James 1890) بأن الفكر أولاً وأخيراً ودائماً في بحث عن الفعل، بحيث يخوض الإنسان عالماً من النشاطات، ويسمح له نظامه الإدراكي بإنجاز مهماته وأهدافه بسرعة ودقة، ويقوم بتوظيف مخرجات المراحل الأولى للمعالجة لتوجيه الأفعال الطارئة. يُصدق الأفراد ما يرونه وقلماً يراجعون أو يسألون مدركاتهم، ويربط الباحثون بين تصورات الأشياء (الصورة الذهنية للشيء) وبين الأشياء في الحقيقة والتي تكون مطابقة أو مثالية إلى حد بعيد، وانطلاقاً من هذا الارتباط، ينشأ الباحثون علاقة أخرى استناداً عليها لخصوصها في عبارة- كما تفسر التصورات الأشياء، يفسر الإدراك الأفكار- وفي كلا الحالتين يقود تمثيل محفز معين (شيء/فكرة) ويعزز توجيه السلوك باعتباره صحيحاً حتى قبل القيام بأي تحليل عقلي لمدى صحة ودقة التمثيل.

1.2. القدرة على الاحتفاظ والاسترجاع وعلاقتها بالذاكرة:

تشكل الذاكرة أحد أهم المواضيع المشار إليها في دراسة الإدراك البشري، بحيث يشير كل من شيكتر وتولفين (Schacter and Tulving) أن نظام الذاكرة محدد من حيث آليات الدماغ ونوع المعلومات التي يعالجها ومبادئ تشغيلها، وهي توليفة مجتمعة من جميع التجارب العقلية، ويعد الوصول إليها شرطاً أساسياً لحدوث الاسترجاع أو الاسترجاع الفعال. يطرح الباحثون فكرة تعدد أوجه الذاكرة وتعدد مراحلها ونظام الاتصالات والتمثيلات التي تشمل تصورات الأفراد مدى الحياة، وتسمح

بذلك الذاكرة بتأويل العالم الحسي بهدف تنظيم الاستجابات للتغيرات التي تحدث في العالم (Eliasmith, 2001, p.1).

يُعرف قولدستاين Goldstein الذاكرة على أنها العمليات المتدخلة في عملية الاحتفاظ، الاسترجاع واستخدام المعلومات المتعلقة بالمحفزات والأحداث والأفكار والمهارات بعد أن لم تعد المعلومات الأصلية موجودة. ويشير هذا التعريف إلى النقطة المحورية التي جعلتنا نقحم الذاكرة كعنصر في عملنا ومحاولة فهمنا لتعامل البشر مع الأخبار الزائفة، وذلك على أساس أنها (الأخبار الزائفة) جزء من المعلومات التي يحتك بها الأفراد يوميا، وافترضنا بأن هناك خلا في سيرورة المعالجة تجعل البشر يفشلون في استرجاع مدى صحة/خطأ بعض الأخبار ويستمررون في الاعتقاد بأنها صحيحة، فالذاكرة تؤدي وظيفتين مترابطتين هما: حفظ conserving المعلومات/الخبرات والاحتفاظ بها retaining واستدعاء/الاعتراف بما يتم الاحتفاظ به، ويتم دعم قدرة الذاكرة على أداء هذه الوظائف المترابطة من خلال عمليات الترميز والتخزين والاسترجاع.

على ضوء ذلك، سيكون من الضروري الإشارة إلى أن هناك اتفاقا عاما بين معظم علماء النفس المعرفي على بعض المبادئ الأساسية لنظام معالجة المعلومات لدى البشر وهو ما يهمننا بالدرجة الأولى (Lutz & Huitt, 2003, p.3):

أولاً/ افتراض بأن قدرة ذاكرة البشر على التخزين محدودة: ويعني ذلك بأن هناك قيودا تحدث في نقاط مختلفة من نقاط معالجة المعلومات تتحكم في مقدار ومعدل ترميز المعلومات الجديدة وتخزينها واسترجاعها.

ثانيا/ هناك تفاعل يحدث بين المعلومات الجديدة مع تلك المخزنة وفق عدة حالات أهمها أن ينطلق الدماغ من المعلومات الجديدة محاولا مطابقتها مع الحالية (الموجودة سابقا) من أجل تحديد الخصائص أو تحديد السمات (Gibson, 1979)، كما قد ينطلق الدماغ من المعلومات الحالية (الموجودة سابقا) وتقييم تمثيلات الذاكرة ثم يتم مطابقتها بالمنبهات الجديدة.

ثالثا/ هناك سمات وراثية محددة لدى البشر تُملي عليهم الطريقة التي يكتسبون من خلالها معلومات جديدة.

يطرح نموذج المراحل The Stage Model بناء على عمل أتكينسون وشيفرين (Atkinson and Shiffrin, 1968) ثلاث مراحل أساسية لمعالجة المعلومات، وتتمثل العناصر الرئيسية لهذا النموذج في النظر للتعليم والذاكرة على أنهما مرحلتين متعددة ومتقطعة، فقبل أخذ معلومات جديدة فإنه من الضروري معالجتها قبل تخزينها وهو ما نفترضه في تعامل البشر مع الأخبار الزائفة. يحدد النموذج ثلاث مراحل:

الذاكرة الحسية: تمثل الذاكرة الحسية المرحلة الأولى في إدراك المحفزات، وترتبط بالحواس. تعمل الذاكرة الحسية كبوابة لجميع المعلومات التي تصبح جزءاً من الذاكرة، وهي مرحلة محدودة مؤقتاً، مما يعني أن المعلومات المخزنة هنا تبدأ في الاضمحلال السريع إذا لم يتم نقلها إلى المرحلة التالية، وتحقيقاً لهذه الغاية، يشكل الاهتمام attention والتلقائية automaticity أهم التأثيرات على الذاكرة الحسية، وقد تم القيام بالكثير من الدراسات لفهم تأثير كل منها على معالجة المعلومات. يعرف سياترز Suthers الانتباه بأنه "قيود على توليد الإدراك الحسي والاستجابة: إن الاهتمام بشيء أو شخص هو عدم الاهتمام بالأشياء الأخرى والآخرين عموماً" (Suthers, 1996, p.1).

إن التلقائية automaticity هي نقيض الاهتمام، ويقول درسكول Driscoll (2001) "عندما تصبح المهام متداخلة أو تصبح مصادر المعلومات أمراً معتاداً إلى الحد الذي تكون فيه متطلبات انتباه الأفراد في حدها الأدنى، تحدث التلقائية" (Driscoll, 2001, p. 82). تتيح ميزة التلقائية إعادة توجيه الانتباه إلى معلومات أو محفزات أخرى وتسمح بإمكانية تعدد المهام دون صرف الانتباه تماماً عن الحصول على معلومات جديدة.

الذاكرة قصيرة المدى: تشكل الذاكرة قصيرة المدى المرحلة الثانية، وهي ذاكرة نشطة أو واعية نظراً لأنها جزء من الذاكرة التي تتم معالجتها بشكل نشط أثناء أخذ معلومات جديدة، وهي محدودة السعة وقصيرة الأجل تضع المعلومات غير المعروفة داخلها في 15 إلى 30 ثانية إذا لم يتم اتخاذ إجراءات أخرى.

الذاكرة طويلة المدى: تضم جميع التصورات والمعارف والمعلومات التي تعلمها الفرد من قبل، ولكنها ليست نظام ملفات ثابت يستخدم فقط لاسترجاع المعلومات. ويرى أبوت (2002) abbot أنها تحوي معلومات في حالة نائمة dormant غير مستخدمة إلا في حالة عاداتها للوعي. فمن أجل دمج معلومات

جديدة، يجب أن تكون الذاكرة طويلة المدى في اتصال مع الذاكرة قصيرة المدى ويجب أن تكون ديناميكية (Abbot, 2002, p.1).

انطلاقاً من ذلك، يمكن تواجد علاقة مهمة بين مرحلة ترميز البشر للمعلومات ومستويات معالجتهم لها، بحيث يرى كراغ Craik (1972) أنه توجد في مرحلة الترميز مجموعة من التسلسلات الهرمية للمعالجة، فخلال مستوى المعالجة الضحلة shallower (المعالجة الإدراكية)، يدرك الفرد في البداية الخصائص الفيزيائية والحسية للمحفز، أما أعمق مستوى فهو المعالجة الدلالية semantic ويرتبط بالتعرف على الأنماط واستخراج المعنى، مع التركيز بشكل أكبر على التحليل الدلالي (Ekuni, 2011, p.334). وقد رُبطت المعالجة العميقة بمستويات أعلى من الاحتفاظ وتتبع الذاكرة على المستوى الطويل، وتتطلب المعالجة العميقة نتيجة لذلك المزيد من الانتباه كما تتأثر بحجم الاهتمام الممنوح للمسألة أو الموضوع، والعلاقة مع البنيات المعرفية القائمة، ومقدار الوقت المتاح للتحليل، وسيبرز لنا فيما سيأتي أن هذه الشروط صعبة التحقيق لدى الجميع على الأقل في كل الوضعيات ومع كل المواضيع.

2.2. تأثير الحقيقة الوهمية illusory truth effect على القاعدة المعرفية للبشر:

"The truth of any proposition has nothing to do with its credibility and vice versa"

Parker's law of political statements (Bloch, 1979, p. 48)

يُعتبر كل من هاشر، جولدستاين وطوبينو (Hasher, Goldstein and Toppino (1977) أول من لاحظوا تأثير الحقيقة الوهمية illusory truth effect على البشر، وذلك من حيث تعرض الأفراد للعديد من الادعاءات المضللة في حياتهم اليومية، وتحمل بعضها القدرة على التأثير على قراراتهم المهمة كالتأكيد على المنتجات الاستهلاكية (Hawkins & Hoch, 1992; Johar & Roggeveen, 2007) والآراء السوسيوسياسية (Arkes, Hackett, & Boehm, 1989) الشيء الذي استدعى التحقيق في ذلك والتساؤل عن كيفية نفاذ هذه المفاهيم الخاطئة إلى القاعدة المعرفية للأفراد لتبلغ خياراتهم؟ ويبدو أن أحد العوامل الرئيسية هو "التكرار" بحيث تتلقى البيانات المتكررة معدلات حقيقة أعلى مقارنة بالبيانات الجديدة، وهي ظاهرة تسمى تأثير الحقيقة الوهمية the illusory truth effect وتؤكد الأبحاث بأن السهولة التي يفهم بها الأفراد البيانات (معالجة الطلاقة) تنطوي على حقائق وهمية، فالتكرار يسهل معالجة البيانات ويؤدي بالأفراد إلى وضع استنتاجات

خاطئة بأنها أكثر صدقا (Unkelbach, 2007; Unkelbach & Stahl, 2009) وذلك على الرغم من أن التكرار لا يقدم دليلاً للحقيقة، إلا أنه يزيد الألفة ويسهل استرجاع المعلومات (Begg, 1992, p.457) ويظهر الصدق أو الحقيقة الوهمية عندما يقبل الأفراد الحجج المنطقية مع الاستنتاجات التي لها نفس المقدمات.

قد تنشأ تأثيرات الحقيقة الوهمية حتى دون تعرّض مُسبق، فالبيانات المعروضة في شكل خطوط عالية التباين (سهلة القراءة) تبدو أكثر صحة من تلك المعروضة في خطوط منخفضة التباين (Reber & Schwarz, 1999; Unkelbach, 2007) كما ترمز الفصاحة fluency إلى العديد من الأحكام كالإعجاب، والثقة.. الخ (Alter & Oppenheimer, 2009; Iyengar & Lepper, 2000; Schwartz & Metcalfe, 1992; Tversky & Kahneman, 1973) ربما لأنها تخدم إشارات الصدق في حياتنا اليومية أو ما برمجنا عليه المجتمع، فهي إشارة صالحة بيئياً، ويستند الناس في كلامهم على الفصاحة لأنهم يعلمون أن هناك علاقة إيجابية بينية (المجتمع) بين الحقيقة والفصاحة (Unkelbach, 2011, p.595)، واعتبر انكلباخ Unkelbach بأن المعالجة القائمة على الفصاحة الظاهرة هي أسلوب للحكم على المعايير البعيدة التي لا يمكن الوصول إليها مثل الحقيقة، وقد يلجأ الأفراد للتركيز على فصاحة المصدر حينما يفشلون في تذكر مدى موثوقيته (Fazio, 2015, p.993).

في السياق ذاته، قد لا يتمكن الأفراد في حالات عديدة من استرجاع معلومات المصدر تلقائياً، وتوصّلت هانكل وماتسون (Henkel and Mattson, 2011) إلى أنه بعد تأخير مدة الاسترجاع لأسبوعين أو ثلاثة، أظهر المشاركون تأثيراً وهمياً للحقيقة بخصوص البيانات التي حددوها على أنها تأتي من مصدر غير جدير بالثقة، بحيث تتبادر الكثير من المعلومات تلقائياً إلى القاعدة المعرفية للفرد من دون تجربة إعادة إحياء حدث التعلم الأصلي ما يعني ندرة قيام الأفراد بمراقبة المصدر Source Monitoring عند تقييمهم لمعلومات مخزنة في قواعد معارفهم (Fazio, 2015, p.994).

3. الأخبار الزائفة في الافتراضي، بين طغيان القراءة السريعة وضرورة اكتساب المعرفة الرقمية:

انطلاقاً من العناصر التي ناقشناها سابقاً، اتضح لنا كيف أن ذاكرة البشر عرضة للخطأ والإلهاء، خاصة مع ما يواجهه الأفراد من صعوبات في الحكم على ما هو صحيح وغير صحيح في حياتهم اليومية، فعلى الرغم من أنه لا يوجد غالباً أساس للأخبار الزائفة، لكنها تبدو دقيقة لأنه لا يتم إعادة

النظر فيها أو مساءلتها (Moneva, 2020, p.763)، ويعد استخدام المنطق مهارة ضرورية للتفكير الفعال ويتطلب فهما أعمق من الفرد لتجارب الحياة اليومية.

يرى بونيك وجيات (Bouhnik and Giat, 2009) أن الطلبة يسيئون تقدير المحتوى المنشور على مواقع التواصل الاجتماعي لأنهم ركزوا فقط على مظهر المنشورات بدل التعمق في محتواها ومدى موثوقيته، ويفترض أن معظم الطلبة لا يملكون المهارات الضرورية للعصر الحالي ولا يستطيعون البحث بكفاءة عن المعلومات، وأبرزت الكثير من الأبحاث احتمالية عدم الدقة بخصوص المعتقدات المهمة للأفراد خاصة من خلال استهلاكهم الواسع النطاق للمعلومات المضلّة، وكشف تحليل مجموعة من المقالات الإخبارية على موقع facebook (Silverman, Strapagiel, Shaban, & Hall, 2016) بأن المقالات الإخبارية المقلدة والمزورة تفوقت فعليا على أهم المقالات الإخبارية الحقيقية من حيث المشاركة، الإعجابات، والتعليقات.

في السياق ذاته، خلصت دراسة أجريت عام 2009 في مجال التطوير من جامعة كاليفورنيا في Los Angeles (UCLA) إلى أنه على الرغم من أن الاستخدام المتزايد للإنترنت أدى إلى "نقاط قوة جديدة في الذكاء البصري المكاني"، فقد كان هناك ضعف بمستوى متكافئ لـ "المعالجة العميقة" deep processing التي يقوم عليها اكتساب المعرفة الذهنية والتحليل الاستقرائي والتفكير النقدي والخيال والتفكير (Greenfield, 2009, p. 71).

على مستوى آخر، يرتبط نشاط القراءة السريعة skimming الذي ينتجه الأفراد على الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي عند تعاملهم مع المحتويات بتأثرهم بالأخبار الزائفة، فقد أبرزت دراسة أجراها باحثون في جامعة University College London (UCL) عام 2008 على سجلات الكمبيوتر التي توثق سلوك المستخدمين في قاعدتي بيانات شهيرة بأن المستخدمين لقواعد البيانات يقفزون من مصدر لآخر، ونادرا ما يعودون لقراءة المزيد من التفاصيل حول معلومات مروا عليها سريعا من قبل.

بالمثل، أثبت باحثون بأن المستخدمين لا يولون اهتماما كبيرا بمسألة سلطة المصدر the authority of source عندما يُقيّمون المواقع، ففي دراستهم لـ 50 طالبا في الولايات المتحدة الأمريكية، لاحظ كل من ديبورا وبوينين (Deborah & Boening) بأن الطلبة يقيّمون بصفة سطحية فقط

موارد صفحات الواب web من حيث جودة المعلومات المتضمنة فيها وربما لا يفعلون إطلاقاً، ذلك لأنهم غير مجهّزين وغير راغبين في بذل جهد في سبيل ذلك، ما انجر عنه استخدام موارد غير موثقة (Deborah & Boening, 2001. p.20). من جانبه، وجد لورينزن (2001) Lorenzen في المقابلات التي أجراها مع أطفال تتراوح أعمارهم بين 15 و17 عاماً أنهم يعتقدون أنه بمجرد فهرسة موقع معين من طرف yahoo فإنه من المؤكد أن يكون موثوقاً وبالتالي لا يحتاج للتقويم، ولم يحاول أي فرد في دراسة شانتون ودكسون (2003) Shenton & Dixon التحقق من صحة المعلومات التي تم العثور عليها، وبينت كل من نيم وريش Nims & Rich أن المشكلات الناتجة عن استراتيجيات البحث السيئة تتضخم عند إجرائها على مواقع الواب web خاصة مع عدم وجود حارس البوابة gatekeeper (Nims & Rich, 1998, p.158).

وعلى ضوء نتائج الدراسات التي تطرقنا إليها وغيرها، يدعو البعض إلى تكثيف الجهود لتنمية المعرفة الرقمية digital literacies لدى المستخدمين لئتمكنوا من فهم الجوانب التقنية والسياسية والاجتماعية المتضمنة في إنشاء ونشر الأخبار الزائفة دون اغفال تقييم ونقد المنصّات الرقمية وبنياتها التحتية، وتم اقتراح الخطوات الآتية (Pangrazio, 2018, pp.15-17):

أولاً. التعرف على الطبيعة المتغيرة لممارسات قراءة الأخبار: أحدثت المنصات تغييران هامان في ممارسات القراءة. الأول يتعلق بمصادر الأخبار والمعلومات، إذ يقل احتمال بحث الأفراد عنها مباشرة من مصادرها لأنهم يصادفونها على المواقع ويقرؤون نصوصها خارج سياقها ما يمنحهم فرص أقل لمقارنة بنياتها، أسلوبها... الخ بالمقالات الإخبارية الأخرى. الثاني هو أن هذا سيؤثر ليس فقط على كيفية تعرف المستخدمين على الأخبار وإنما أيضاً على استعدادهم للخوض مع هذه المقالات ومشاركتها، بحيث لا يشعرون عادة بأنهم في حاجة إلى أن يكونوا ناقلين في سياق (مثلاً: facebook) وُجد لمشاركة الأخبار والمعلومات مع الأصدقاء.

ثانياً. معرفة بهندسة المنصة: من الضروري فهم بنية المنصات المستخدمة بما في ذلك هيكلها ووظيفتها، بالإضافة للخوارزميات والعمليات التي تحكم العلاقات التي تسمح للمكونات المختلفة بالتفاعل، هذا ما يسمح للمستخدمين بفهم أن المنصات ليس مجرد قنوات محايدة، فتحليل خوارزميات فيسبوك (Bucher, 2012) و google (Rieder, 2012) يبيّن أنه تم تحديد أولويات وضعت في الواجهة ومن بينها الأخبار الزائفة.

ثالثا. فهم المنصات الرقمية باعتبارها جزءا من شبكات اجتماعية وتقنية أوسع: بحيث أن هناك ترابطا بين المنصات والأنظمة التكنولوجية والدلالية. وهذا ما يشكل معرفة أساسية حول كيفية استخدام الشبكات كأداة للاكتشاف واتخاذ القرار، بما في ذلك فهم الفوائد والمزالق المحتملة للشبكات، ما يتطلب التقييم النقدي للهياكل والوظائف التي عادة ما تكون خارج نطاق الرؤية.

رابعا. تحديد ونقد الأيديولوجيات المتضمنة في المنصات الرقمية: تشجع المعرفة الرقمية النقدية المستخدمين على تحليل الأيديولوجيات المتضمنة في النصوص وكذلك المنصات التي تنشرها وخاصة ما تعلق باقتصادها السياسي (الإشهار بالدرجة الأولى).

خامسا. اكتشاف كيف ينتشر التأثير ويتكثف عبر المنصات الرقمية: على الأفراد أن يفكروا في ارتباط مشاركة الأخبار والمعلومات بحياتهم الاجتماعية في كل جوانبها. لذلك ينبغي النظر في دور المعلومات المقدمة على المنصات في تطوير استجابات عاطفية لدى الأفراد وتشكيل هوياتهم الرقمية وعلاقاتهم عبر الإنترنت.

خاتمة:

انطلاقا مما سبق، نعتقد أنه من الضروري التوقف عن الانهيار بالأخبار الزائفة، لأنها موجودة وأصبحت جزءا من الواقع المعاش وستظل، ويبدو أن استراتيجيات الإلهاء والتضليل التي تعتمد عليها بعض الجهات لا تزال تتطور خاصة في العالم الافتراضي. عوضا عن ذلك، نقترح الالتفات لفهم النظام العقلي للإنسان وسيرورة التفكير والتصديق لديه للتمكن من تطوير مناهج لمواجهة الأخبار الزائفة، خاصة مع تزايد الطروحات التي تؤكد استعدادات البشر المعرفية لتشرّبها، وقابليتهم للخطأ والإلهاء والتلاعب، بالإضافة لأنماط ذاكرتهم ومحدودية تخزينها وعلاقة ذلك بسيرورات المعالجة لديهم، هذه الوضعيات تجعل الإنسان غير حصين وتضعف معالجته العميقة للمعلومات وتكبج ذهنه من اكتساب المعرفة وكذلك التحليل الاستقرائي والتفكير النقدي والخيال خاصة في التفاعل مع العالم الافتراضي، لذلك سيكون من الضروري تكثيف الجهود لتنمية المعرفة الرقمية لدى المستخدمين وتنبههم لفهم الجوانب التقنية والسياسية والاجتماعية الموجهة للأخبار الزائفة بالإضافة لتحليل وتقويم المنصات الرقمية وبنياتها التحتية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Gilbert T. Daniel. (1990). Unbelieving the Unbelievable Some Problems in the Rejection of False Information. Journal of Personality and Social Psychology by the American Psychological Association, Vol. 59, No. 4.
2. Cozzens MICHAEL. (1987). The Effect of Conflicting Information on Media Skepticism. COMMUNICATION RESEARCH, Vol. 14, No. 4.
3. Petty Richard & Luke Hinsenkamp. (2017). Routes to Persuasion, Central and Peripheral. The SAGE Encyclopedia of Political Behavior.
4. Dana Jany. (2008). Resource depletion and persuasion: the moderating role of the heuristic principle of reciprocity". University of Twente, Departement of behavioral science. The Netherlands.
5. Clark. H & Chase. G. (1972). On the Process of Comparing Sentences against Pictures. Cognitive Psychology 3.
6. Savolainen Reijo. (2007). Media Credibility and cognitive authority. The case of seeking orienting information. Information Research. Vol.12 No.3.
7. Fricker Elizabeth. (2006). Second-Hand Knowledge. Philosophy and Phenomenological Research Vol. LXXIII, No. 3.
8. Eliasmith, C. (2001). Memory. Dictionary of philosophy of mind. Pullman, WA: Washington State University.
9. Lutz, S., & Huitt, W. (2003). Information processing and memory: Theory and applications. Educational Psychology Interactive. Valdosta, GA: Valdosta State University.
10. Suthers, D. (1996). Attention and automaticity. Pittsburgh. University of Pittsburg, Learning Research and Development Center.
11. Driscoll, M. (2001). Psychology of learning for assessment. Boston: Allyn and Bacon,
12. Abbot, B. (2002). Human memory. Fort Wayne: Indiana University-Purdue University at Fort Wayne, Psychology Department.
13. Ekuni Roberta and al. Levels of processing: the evolution of a framework. Psychology & Neuroscience, 2011, 4, 3.
14. Begg Ian Maynard & Anas Ann. (1992). Dissociation of Processes in Belief: Source Recollection, Statement Familiarity, and the Illusion of Truth. The American Psychological Association Vol.12n 4.
15. Unkelbach Christian. (2011). Fluency and positivity as possible causes of the truth effect. Consciousness and Cognition, Elsevier. V (20).
16. Fazio Lisa. (2015). Knowledge Does Not Protect Against Illusory Truth. Journal of Experimental Psychology: General © 2015 American Psychological Association Vol. 144, No. 5.
17. Moneva, J. C. (2020). Fake News: Logical Reasoning Ability and Students Vulnerability. International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences, 10(3).
18. Greenfield Patricia. (2009). Technology and Informal Education: What Is Taught, What Is Learned. the American Association for the Advancement of Science, Department of Psychology, University of California, Los Angeles, SCIENCE VOL 323.
19. Deborah J. Grimes and Carl H. Boening. (2001). Worries with the Web: A Look at Student Use of Web Resources. College & Research Libraries.
20. Nims Julia K. and Rich Linda. (1998). How Successfully Do Users Search the Web?"College & Research Libraries News 59.
21. Pangrazio Luci. (2018). What's New about 'Fake News?'. Critical Digital Literacies In An Era Of Fake News, Post-Truth And Click bait. Revista Páginas de Educación. Vol. 11, Núm. 1.